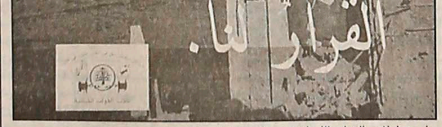

ملصق لطلاب القوات اللبنانية في ذكرى ١٣ نيسان

«ارتاحوا الى وضعهم الوطني وجلسوا في خنادقهم»

# مراجعة الحرب على طريقة المنظمات الشبابية

اليوم، في ١٣ نيسان العام ٢٠٠٠، ينظم تجمعان في وسط بيروت. احدهما يعقد تحت شعار «تذكر تما تنعاد» من تنظيم حملة «من حقنا ان نعرف» بعيداً عن الاختباء خلف الشعارات التوفيقية «الجميلة»، فيما يحمل التجمع الثاني شعار «لبنان الجميع وفوق الجميع... وطن الحياة كما ولا يزال» بتنظيم النائب بهية الحريري وبمشاركة فعالة من جمعية شباب المستقبل.

## تمويه الشعارات

ثمة فارق واضح بين حملة معرفة مصير غالبية المخطوفين والمفقودين، وبين ما كرره حسن خلوائي (المسؤول الاعلامي في جمعية شباب المستقبل) لكلام الرئيس رفيق الحريري في الجامعة اليسوعية حول بعض المخطوفين، فبعدما امضى في الحكم ستة اعوام، اخبر الطلاب انه لا يمتلك اي معطيات عن الأسرى اللبنانيين في سجون عربية.

يستخدم خلوائي مقولات مثل «نحنا ولاد اليوم... يجب ان ننظر الى نصف الكبانية المليان». والترجمة العملية لذلك هي «استبعاب الميليشيات في الدولة بعد سكة الطائف الصحيحة»، وبعد الدور «الايجابي» للرئيس الحريري خلال «حروب الآخرين» عبر تحويلات تمويلية «اعمارية، خصوصا في صيدا، واخرى محايدة».

إلا أن بعض الشباب ما زال يتململكم فضول النظر الى «النصف الفارغ» من الكاس، ربما لان مذاق النصف المليء لا يطيب لهم. ففي معرض الصور حول الحروب الاهلية الذي نظمه نادي حقوق الانسان في جامعة البلمند، حازت صورة رجل «مشلوح» وموثق بحبل سيارة على اكبر كمية تساؤلات. ولم يكن تمويه شعار الحزب المرسوم على السيارة سوى حافزاً اضافياً في تزايد الجدل بين الطلاب حول هوية ذلك الحزب.

أما في معرض صور الحروب الاهلية في الجامعة الاميركية قبل ثلاثة أعوام من تنظيم نادي حقوق الانسان هناك، فإن الصور لم تكن مموهة، بل انها عنونت وذكرت معظم الاطراف المشاركة، فلم يرق لاحد الاحزاب مجرد ذكره في احدى صور الحرب، فانتزعها بعنف هادئ.

والمعرضان المتشابهان في موضوعهما هما من تنظيم مجموعتي «العمل المباشر» و«بلا حدود» اليساريتين وحديثتي النشأة في جامعتي البلمند والاميركية في بيروت. واجرت كلتا المجموعتان، بتفاوت، نقاشات محدودة داخلية حول الحرب اللبنانية. وبذكر عضوان، كل من مجموعته، بأن ثمة ادانة للحرب واطرافها كافة، وهو ما يعزّزه عدم الانتماء الحزبي لدى معظمهم، على الرغم من بعض الميل السياسي الى جانب «الحركة الوطنية اللبنانية» وان بتفاوت ايضا. بالاضافة الى وجود هاجس مستمر باجراء مراجعة نقدية جدية للحرب.

## الحنين الى «المعلم»

وليس تنظيم معرض كمال جنبلاط في الجامعة الاميركية بمبادرة رئيسية من مجموعة «بلا حدود» ومنظمة الشباب التقدمي، والذي اقتصر على صور ومقولات وكتب لكمال جنبلاط طالت بداية الحرب، ومن دون اي وجهة نقدية، إلا تأكيداً على التردد في «بلا حدود» بين مراجعة الحرب سياسيا بشكل نقدي وبين الحنين الى اطراف فيها.

إلا ان الحنين يتحول الى تمسك بمواقف كمال جنبلاط لدى منظمة الشباب التقدمي. ويقول وائل ابو فاعور من المنظمة ان «وجهة نظرنا لم تكن خاطئة، وهناك اختلاف بين اطراف مسؤولة عن الحرب واخرى مسؤولة في الحرب». ويؤكد ابو فاعور وجود حنين متزايد في اوساط شباب المنظمة للعودة الى افكار «المعلم» كرد فعل على حال الحزب من بعده.

يكاد ينحصر نقد ابو فاعور لبدايات الحرب على «الاساءات من قبل بعض القيادات الفلسطينية». اما في ما يختص بالمجازر وقتل المدنيين لاحقا، فإن «الدم يستسقي الدم مثلما الطائفية البغيضة تستدعي مثيلتها»، وهو ما يحصرها في ردود فعل عفوية على فعل «ناس غرباء من خارج المنطقة». اما سلمان سماحة، منسق عام طلاب «القوات اللبنانية»، فلا يذكر بدوره قتل مدنيين، ويستدرك قائلا ان بعض الحوادث كانت ردود فعل على احداث سبقتها «حتى ان الذين شاركوا فيها ندموا، وانتهت القضية».

اختار طلبة الحزب الشيوعي الطريق الجديدة، وتحديداً الجامعة العربية، ليقيموا تدوتهم قبل عامين عن «الحركة الوطنية اللبنانية» من مقر انطلاقتها وفق علي الحسيني (المسؤول الاعلامي في مكتب الطلاب) مستضيفين جورج حاوي، وانحصر نقد بداية الحرب في بعض فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في حين «لم نخض نحن (الشيوعيون) الحرب تحت شعارات تحويل لبنان الى بلد احمر... بل انها فرضت علينا».

وزع طلاب «الشيوعي» في الجامعة العربية ورقة تقول «ان الحرب هي بين فرقاء تقاتلوا ولا يعرفون بعضهم بعضا، وعندما انتهت الحرب ما زالوا لا يعرفون بعضهم بعضا». ورد فيها اعتراف بالتقصير في جهل الاطراف المسيحية حاليا من جهة، ودعوة «لدخول اي حرب بأهداف تخصنا...» من جهة اخرى وفق الحسيني ايضا.

ما زال كمال جنبلاط، ابرز رموز انطلاقة الحرب وضحيتها، ينال الاعجاب في اوساط شبابية حزبية وغيرها. ويصف محمود دنشلي (حركة الشعب) تأثره بما قراه في كتب لجنبلاط، ويعتبر ان مشروع «الحركة الوطنية» السياسي ما زال صالحا في الوقت الذي تتردد فيه الآراء في اوساط «الشعب» بين تبني جانب «الحركة الوطنية» وبين «الإجماع على ان الكل قد أخطأ من دون ان نتفق على كيفية حدوث ذلك».

## بيانات الحرب

اثار مجسم المخيم الفلسطيني في الجامعة الاميركية، الذي نظمته «حركة الشعب»، جدلا بين الطلاب ومهد لسلسلة بيانات «حربية» عززها منح ملصق «القوات اللبنانية» في الجامعة الذي تظهر فيه جان دارك مرتدية صليبا فوق زيها العسكري، وكتب تحتها: «ملتزمة... احلى بكتير».

«هكذا بدأت الحرب اللبنانية... استباحة الفلسطيني لارض لبنان، تنازل الدولة عن دورها في حماية المواطن...» كما ان اول بيان وزعته «القوات» تلاه آخر موقع باسم «الجبهة الوطنية اللطابية» بعنوان «مخيم... بس ناقص». وبعدما ردت بعض القوى السياسية في بيان مشترك على بيان «القوات» بلغة معتدلة نسبيا تدعو الى الحوار، لم يرق ذلك للطلبة «القوميين السوريين» في ان يكون «التيار الوطني الحر» مشاركا في الرد مصنفين اياه ضمن «مدرسة... بحجم جنرال لم يمارس الحرب إلا ضد شعبه...»، وواصفين «الفرق الوحيد بينهما (الجنرال والحكيم) ان الاول في حضن العدو والثاني في السجن؟»، ومتهمين هذه «المدرسة» «بالتسلل... الى موقف تختبئ في ظله لتغير جلدها...».

إن اكثر ما اثار «القوميين السوريين» هو تحالف «التيار الوطني الحر»، «بلا حدود»، فجاء رد الاخيرين في بيان مشترك لم يخل بدوره من تخوين المخونين... واصفين لغتهم («القوات» و«القوميين») بانها عودة الى «ايام الخنادق... فالبيان الاول - بيان طلاب القوات - اكتفى بالقاء اللوم على الشعب الفلسطيني و«الغريب»، وارتاح لوضعه «الوطني» وجلس في خندقه. والبيان الثاني - بيان طلاب القوميين - تربع في خندقه، مرتاحا «لوطنيته»... فكل تنظيم موجود في المنطقة «الغربية» بمنطقها، يمكنه ان يرتاح «لوطنيته»، ويجلس مكتوف الايدي، وكل طرف في المنطقة «الشرقية» فهو يعد اوتاماتيكيا خائنا، وعليه اثبات وطنيته امام محكمة «القوى الوطنية»...».

فرزت الحرب مهزومين وآخرين منتصرين في الحكم وفلكه. ومهزومون هم من اطراف متباعدة. وان اطلقت «القوات» الرصاص ابتهاجا بخسارة الجنرال عون الحرب، فهي سرعان ما اكتشفت انها في الخانة نفسها. وكان الاشتباك بالايدي على خلفية الحرب بعد من الامور الإعتيادية بين الطرفين في الجامعات ذات الحضور المشترك للاعوام الاولى من بعد الطائف، قبل ان تأخذ شكل تناقس انتخابي حاد في تلك الجامعات.

أما المنتصرون فهم كثرة ومتناوبون على الحكم بدرجات. ويصف ابو فاعور («التقدميون») ان نتيجة الحرب «ايجابية جدا تمثلت باسقاط الانعزاليين واستفادت منها كل القوى الوطنية... اما في المرحلة الحالية صرنا رقم عشرين بعدما قام الانتصار على ظهورنا». وفي موقف موازٍ، يقول صبحي ياغي (القوميون السوريون) إن «المشروع الاميركي الاسرائيلي، سبب الحرب، قد أسقط، او أجّل على الأقل».

تعترف غالبية الاطراف «المنتقدة»، بأن ثمة تراجعات وسلبيات اجتماعية وسياسية مثل الطائفية. لكن انتصارهم لا يعني التغلب على مثل هذه السلبيات، ان لم يكن العكس صحيحا، فاحد ابرز المهزومين طلابيا هو الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية. ويصف جورج زيدان (حزب «الوعد») ان مبادراتهم تجاه «الاتحاد الوطني» متشابهة مع طروحات «أمل» القاضية بتأجيل «الاتحاد» الى ما بعد توحيد مباني الجامعة اللبنانية ومناهجها، علما ان التشابه يطال ايضا تحالفهما الوثيق مع سوريا مقابل «ارضاء» قواعدهم الشعبية برفض منح الحقوق المدنية للاجئين الفلسطينيين.

يتهم وليد الاشقر («التيار الوطني الحر»)، في المقابل، التيارات المتعاقبة على السلطة بتعطيل عودة «الاتحاد الوطني» بحجج متعددة، فيما يرى بدوره ان اعادة احياء «الاتحاد» ضرورة قبل الامور الاخرى من اجل العمل على توحيد الجامعة اللبنانية بأكثر من اتجاه ومن المفترض ان تجري لقاءات بينهم وبين طلاب منظمة الشباب التقدمي من فروع مختلفة للجامعة اللبنانية للتباحث في قضايا اكاديمية تخص كل كلية.

اجرى كل تيار مراجعته شبه المحسومة خلال الحرب في تحوله من موقع الى آخر... مقتربا من السلطة الفعلية، واستمر فيها الى ما بعد الحرب. وقد تكون القوى الطلابية، الاكثر ابتعاداً عن مركزية الاحزاب وزعمائها، تمتلك مقدرة اكبر في الانتقال من مراجعة في الحرب الى مراجعة الحرب.

ان ما يجري في الجامعة الاميركية مثلا يعطي انطباعا بأن شبابا يحاولون اجراء مراجعة للحرب... من بين مخيم فلسطيني، وصورة جان دارك «الملتزمة» بصليبها، وصورة كمال جنبلاط بالكوفية وبيانات تعود لغتها الى زمان الحرب.

عمرو سعد الدين